

حكاية حسن الصائغ البصري وعما يحكى أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر من التجار مقيم بأرض البصرة وكان ذلك التاجر له ولدان ذكران وكان عنده مال كثير فقدر الله السميع العليم أن التاجر توفي إلى رحمة الله تعالى وترك تلك الأموال فأخذ ولداه في تجهيزه ودفنه. وبعد ذلك اقتسموا الأموال بينهما بالسوية وأخذ كل واحد منهم قسمة وفتحا لها دكاكين أحدهما نحاس والثاني صائغ فبينما الصائغ جالس في دكانه يوماً من الأيام إذا ب الرجل أعمى ماشي في السوق بين الناس إلى أن مر على دكان الولد الصائغ فنظر إلى صنعته وتأملها بمعروفة فأعجبته وكان اسم الصائغ حسناً فهز الأعمى رأسه وقال والله إنك صائغ مليح وصار ينظر إلى صناعته وهو ينظر إلى كتاب عتيق كان بيده والناس مشغولين بحسنه وجماله واعتداله، فلما كان وقت العصر خلت الدكاكين من الناس، فعند ذلك أقبل الرجل الأعمى عليه وقال له يا ولدي أنت شاب مليح وأنا مالي ولد وقد عرفت صنعة ما في الدنيا أحسن منها وقد سألكي خلق كثير من الناس في شأن تعليمها فما رضيت أن أعلمها أحداً منهم ولكن قد سمحت نفسى أعلمك إياها وأجعلك ولدي واجلع بينك وبين الفقر حجاً وتستريح من هذه الصنعة والتعب في المطرقة والفحى والنار فقال له حسن يا سيدي ومتى تعلمني، فقال له في غداً أتيك وأصنع لك من النحاس ذهباً خالصاً بحضورك ففرح حسن وودع الأعمى وسار إلى والدته فدخل وسلم عليها وأكل معها وهو مدحوش بلاوعي ولا عقل فقالت أمه ما بالك يا ولدي إحذر أن تسمع كلام الناس خصوصاً الأعاجم فلا تطاؤ عليهم في شيء فإن هؤلاء غشاشون يعلمون صنعة الكيمياء وينصبون على الناس ويأخذون أموالهم وأكلونها بالباطل. فقال لها يا أمي نحن فقراء وما عندنا شيء يطعم فيه حتى ينصب علينا وقد جاءني رجل أعمى لكنه شيخ صالح عليه أثر الصلاح وقد حنته الله علي فسكتت أمه على غيظ وصار ولدها مشغول القلب ولم يأخذن نوم في تلك الليلة من شدة فرحة يقول الأعمى له فلما أصبح الصباح وأخذ المفاتيح وفتح الدكان، وإذا بالأعمى أقبل عليه فقام وأراد حسن أن يقبل يديه فامتنع ولم يرض بذلك وقال يا حسن عمر البوذة وركب الكير، ففعل ما أمره به الأعمى وأخذ الفحم فقال له الأعمى يا ولدي هل عندك نحاس قال عندي طبق مكسور فأمره أن يتکيء عليه بالكافر ويقطعه قطعاً صغاراً ففعل كما قال له وقطعه قطعاً صغاراً ورماه في البوذة ونفع عليه بالكير حتى صار ماء فمد الأعمى يده إلى عمانته وأخرج منها ورقة ملفوفة وفتحها وذر منها شيئاً في البوذة مقدار نصف درهم وذلك الشيء يشبه الكلل الأصفر وأمر حسناً أن ينفع عليه بالكير ففعل مثل ما أمره حتى صار سبيكة ذهب، فلما نظر حسن إلى ذلك اندهش وتحير عقله من الفرح الذي حصل له وأخذ السبيكة وقبلها وأخذ المبرد وحکها فرأها ذهباً خالصاً من عال العال فطار عقله واندهش من شدة الفرح، ثم انحنى على يد الأعمى ليقبلها فقال له: خذ هذه السبيكة وانزل بها إلى السوق وبعها واقبض ثمنها سريعاً ولا تتكلم فنزل حسن وأعطى السبيكة إلى الدلال فأخذها منه وحکها فوجدها ذهباً ففتحوا بابها بعشرة آلاف درهم وقد تزايد فيها التجار فباعها بخمسة عشر ألف درهم وقبض ثمنها ومضى إلى البيت وحكي لأمه جميع ما فعل وقال إني قد تعلمت هذه الصنعة، فضحك عاليه وقالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وأدرك شهزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. وفي الليلة السادسة والثلاثين بعد السبعة قال: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً الصائغ لما حكى لأمه ما فعل الأعمى وقال لها إني قد تعلمت هذه الصنعة قالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسكتت على غيظ منها ثم إن حسناً أخذ من جهته هاوناً وذهب به إلى الأعمى وهو قاعد في الدكان ووضعه بين يديه فقال له يا ولدي ما تريدين أن تصنع بهذا الهون قال ندخله في النار ونفعله سبائك ذهب، فضحك الأعمى وقال يا ولدي هل أنت مجانون حتى تنزل السوق بسببيكتين في يوم واحد ما تعلم أن الناس ينكرون علينا وتروح علينا، ولكن يا ولدي إذا علمتك هذه الصنعة لا تعملها في السنة إلا مرة واحدة فهي تفكيرك من السنة إلى السنة قال صدق يا سيدي ثم إنه قعد في الدكان وركب في البوذة ورمى الفحم على النار فقال له الأعمى يا ولدي ماذا تريدين قال علمي هذه الصنعة، فضحك الأعمى وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أنت يا ابني قليل العقل ما تصلح لهذه الصنعة قط هل أحد في عمره يتعلم هذه الصنعة على قارعة الطريق أو في الأسواق فإن أشتغلنا بها في هذا المكان يقول الناس علينا إن هؤلاء يصنعون الكيمياء فتسمعون الحكماء وتروح أرواحنا فإذا أردت يا ولدي أن تتعلم هذه فاذهب معي إلى بيتي، فقام حسن وأغلق الدكان وتوجه مع الأعمى فبينما هو في الطريق غذ تذكر قول أمه وحسب في نفسه ألف حساب فوقف وأطرق برأسه إلى الأرض ساعة زمانية فالتفت الأعمى فرأه واقفاً فضحك وقال هل أنت مجانون كيف أضمر لك في قلبي الخير وأنت تحسب أني أضررك وقال له الأعمى إن كنت خائفاً من ذهابك معي إلى بيتي فأنا أروح معك إلى بيتك وأعلمك هناك فقال له حسن نعم فقال له امش قدامي فسار حسن قدامه وسار الأعمى خلفه إلى أن وصل الأعمى إلى منزله فدخل حسن إلى داره فوجد والدته فأعلمها بحضور الأعمى معه وهو واقف على الباب ففرشت لهما البيت ورتبته. فلما فرغت من أمرها راحت ثم إن حسناً أذن للأعمى أن يدخل فدخل ثم إن حسناً أخذ في يده طبقاً وذهب به إلى السوق ليجيء فيه بشيء يأكله

فخرج وجاء بأكل وأحضره بين يديه وقال له كل يا سيدي لأجل أن يصير بيننا خبز وملح والله تعالى ينتقم من يخون الخبر والملح. فقال له صدقت يا ولدي ثم تبسم وقال له يا ولدي من يعرف قدر الخبز والملح ثم تقدم الأعجمي وأكل مع حسن حتى اكتفي، ثم قال له الأعجمي يا ولدي يا حسن هات لنا شيئاً من الحلوي فمضى حسن إلى السوق وأحضر عشر قباب الحلوي وفر حسن بكلام الأعجمي، فلما قدم خيراً يا ولدي مثل من يصاحب الناس ويظهرون على أسرارهم ويعلمونه ما ينفعه ثم قال الأعجمي يا حسن أحضر العدة، فلما سمع هذا الحديث إلا وخرج مثل المهر إذا انطلق من الريبع حتى أتى إلى الدكان وأخذ العدة ورجع ووضعها بين يديه فأخرج الأعجمي قرطاً من الورق وقال يا حسن وحق الخبز والملح لولا أنت أعز من ولدي ما أطعلتك على هذه الصنعة وما يقي شيء من الإكسير إلا في هذا القرطاس، ولكن تأمل حين أركب العقاقير وأضعها قدامك واعلم يا ولدي يا حسن أنك تضع على كل عشرة أرطال نحاساً نصف درهم من هذا الذي في الورقة فتصير العشرة أرطال ذهباً خالصاً إبريزاً ثم قال يا ولدي يا حسن إن في هذه الورقة ثلاثة أوراق بالوزن المصري وبعد أن يفرغ ما في هذه الورقة أعمل لك غيره فأخذ حسن الورقة فرأى شيئاً أصفر أنعم من الأول فقال يا سيدي ما اسم هذا وأين يوجد وفي أي شيء يعمل فضحك الأعجمي من طمع حسن وقال له عن أي شيء تتسأل وأنت ساكت، وأخرج طاسة من البيت واخرج طاسة من البيت أقطعها وألقاها في البوقة ورمي عليها قليل من الذي في الورقة فصارت سبيكة من الذهب الخالص. فلما رأى حسن ذلك فرح فرحاً شديداً وصار متثيراً في عقله مشغولاً بتلك السبيكة فأخرج صرة من رأسه بسرعة وقطعها ووضعها في قطعة من الحلوي وقال له يا حسن أنت بقيت ولدي وصرت عندي أعز من روحي ومالي وعندي بنت أزوجك بها فقال حسن أنا غلامك ومهما فعلته معي كان عند الله تعالى فقا الأعجمي يا ولدي طول بالك وصبر نفسك يحصل لك الخير ثم ناوله القطعة الحلوي فأخذها وقبل يده ووضعها في فمه وهو لا يعلم ما قدر له في الغيب ثم بلع قطعة الحلوي فسبقت رأسه ورجليه وغاب عن الدنيا فلما رأه الأعجمي وقد حل به البلاء فرح فرحاً شديداً وقام على أقدام وقال وقعت يا علق يا كلب العرب لي أعوام كثيرة أفتشر عليك حتى حصلتك يا حسن. وأدرك شهرزاد الصباح فسكت عن الكلام المباح. وفي الليلة السابعة والثلاثين بعد السبعمائة قالت: بلغني أنها الملك السعيد، أن حسناً الصائغ لما أكل قطعة الحلوي التي أعطاها له الأعجمي ووقع منها على الأرض مغشياً عليه، فرح الأعجمي وقال له لي أعوام كثيرة وأنا أفتشر عليك حتى حصلتك، ثم إن الأعجمي شد وسطه وكتف حسناً وربط رجليه على يديه، وأخذ صندوقاً وأخرج منه الحوائج التي كانت فيه ووضع حسناً فيه ووقفه عليه وفرغ صندوقاً آخر وحط فيه جميع المال الذي عند حسن والسبائك الذهب التي عملها أولاً وثانياً ووقفه ثم خرج يجري إلى السوق وأحضر حملاً حمل الصندوق، وتقدم إلى المركب الراسي وكان ذلك المركب مهياً للأعجمي ورئيسه منظر، فلما نظره بحريته أتوا إليه وحملوا الصندوقين ووضعوهما في المركب وصرخ الأعجمي على الرئيس وعلى جميع البحريه وقال لهم قوموا قد انقضت الحاجة وبلغنا المراد، فصرخ الرئيس على البحريه قال لهم: أغلعوا المراسي وحلوا القلوع، وصار المركب بريح طيبة هذا ما كان من أمر الأعجمي. وأما ما كان من أمر أم حسن فإنها انتظرته إلى العشاء، ولم تجد الصناديق ولا المال، فعرفت أن ولدها قد فقد ونفذ فيه القضاe فلطمته على وجهها وشققت أثوابها وصاحت وolloت وصارت تقول وأولاده واثمرة فؤاداه. ثم إنها صارت تبكي وتنوح إلى الصباح فدخل عليها الجيران وسألوها عن ولدها فأخبرتهم بما جرى له مع العجمي واعتقدت أنها لن تتجدد بعد ذلك. ثم قالت نعم يا ولدي إن الدار قفرة والمزار بعيد ثم إن الجيران ودعوها بعد أن دعوا لها بالصبر وجمع الشمل قريباً، ولم تزل أم حسن تبكي أثناء الليل وأطراف النهار، هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر ولدها حسن مع الأعجمي، فإن الأعجمي كان مجوسيًّا وكان يبغض المسلمين كثيراً وكلما قدر على أحد من المسلمين يهلكه وهو خبيث لئيم كيماوي كما قال فيه الشاعر: هو الكلب وابن الكلب والكلب جده لا خير في كلب و كان اسم ذلك الملعون بهرام المجوسي، وكان له في كل سنة واحد من المسلمين يأخذه وينبهه على مطلب، فلما تمت حيلته على حسن الصائغ وسار به من أول النهار إلى الليل رسى المركب على بر إلى الصباح، فلما طلعت الشمس وسار المركب أمر الأعجمي عبيده وغلمانه أن يحضروا له الصندوق الذي فيه حسن فأحضروه له ففتحه وأخرجه منه ونشقه بالخل ونفح في أنفه ذرراً فعطس وتقايا بالبنج وفتح عينيه ونظر يميناً وشمالاً، فوجد نفسه في وسط البحر والمركب سائراً والأعجمي قاعدًا عنده، فعلم أنها حيلة عملت عليه قد عملها الملعون المجوسي وأنه وقع في الأمر الذي كانت فيه أمه تحذره فقال كلمة لا يخجل قائلها وهي: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إنا لله وإنما إليه راجعون اللهم الطف بي في قضائك وصبرني على بلائك يا رب العالمين، ثم التفت إلى الأعجمي وكلمه بكلام رقيق وقال له يا ولدي ما هذه الفعال وأين الخبز والملح واليدين التي حلفتها لي فنظر إليه وقال له يا كلب هل مثلي يعرف خبزاً وملحاً وأنا قد قلت ألف صبي إلا صبياً وأنت تمام الألف، وصاح عليه فسكت وعلم أن سهم القضاe نفذ فيه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكت عن الكلام

المباح. وفي الليلة الثامنة والثلاثين بعد السبعمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لما رأى نفسه وقع مع الأعمامي الملعون كلمه بكلام رقيق فلم يفده بل صاح عليه فسكت وعلم أن سهم القضاء نفذ فيه فعند ذلك أمر الملعون بحل أكتافه، ثم سقوه قليلاً من الماء والمجوسى يضحك ويقول وحق النار والنور والظل والحرور، وما كنت أظن أنك تقع في شبكتي، ولكن النار قوتني عليك وأعانتني على قبضك حتى أقضى حاجتي وأرجع وأجعلك قرباناً لها حتى ترضى عنِي فقال حسن قد خنت الخبز والملح فرفع المجوسى يده وضربه ضربة فوق عرض الأرض بأسنانه، وغضي عليه وجرت دموعه على خده ثم أمر المجوسى أن يوقدوا له ناراً، فقال له حسن ما تصنع بها فقال له هذه النار صاحبة النور والشuron وهي التي أعبدتها فإن كنت تعبدها مثلي فأنا أعطيك نصف مالي وأزوجك بنتي، فصاحت حسن عليه وقال يا وليك إنما أنت مجوسى كافر تعبد النار دون الملك الجبار خالق الليل والنهار وما هذه إلا وصية في الأديان. فعند ذلك غضب المجوسى وقال: أما توافقني يا كلب العرب وتدخل في ديني فلم يوافقه حسن على ذلك، فقام المجوسى الملعون وسجد للنار وأمر غلمانه أن يرموا حسناً على وجهه فرموه، وصار المجوسى يضربه ببساط مضفور من جلد حتى شرح جوانبه وهو يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجبره أحد فرفع طرفه إلى الملك القهار وتولى إليه بالنبي المختار وقد قل منه الاصطبار وجرت دموعه على خديه كالأنطار. ثم إن المجوسى أمر العبيد أن يقعدوا وأمر أن يأتوا إليه بشيء من المأكل والمشرب فأحضروه فلم يرض أن يأكل ولا يشرب وصار المجوسى يعذبه ليلاً ونهاراً مسافة الطريق وهو صابر يتصرع إلى الله عز وجل، وقد قسى قلب المجوسى عليه، ولم يزالوا سائرين في البحر مدة ثلاثة أشهر، وحسن معهم في العذاب فلما كملت الثلاثة أشهر أرسل الله تعالى على المركب ريحًا فاسود البحر وهاج بالمركب من كثرة الريح فقال الرئيس والبحريه هذا والله كله ذنب هذا الصبي الذي له ثلاثة أشهر في العقوبة مع هذا المجوسى وهذا ما يحل من الله تعالى ثم إنهم قاوموا المجوسى وقتلوا غلمانه وكل من كان معه فلما رأهم المجوسى قتلوا الغلمان أیقنت بالهلاك، وخاف على نفسه وحل من أكتافه وقلعه ما كان عليه من الثياب الرثة وألبسه غيرها وصالحة، وواعده أن يعلمه الصنعة ويرده إلى بلده وقال يا ولدي لا تؤاخذني بما فعلت، فدعوا لهم حسن وحمد الله تعالى وشكراً فسكت الرياح وانكشفتظلمة وطاب البح والسفر، ثم إن حسناً قال للمجوسى يا أعمامي إلى أين تتوجه قال يا ولدي أتوجه إلى جبل السحاب الذي فيه الإكسير الذي نعمله كيمياء، وحلف المجوسى بالنار والنور أنه ما يقي لحسن عنده ما يخيفه فطاب قلب حسن وفرح بكلام المجوسى، وصار يأكل معه ويشرب وينام ويلبسه من مليوسه، ولم يزالوا مسافرين مدة ثلاثة أشهر أخرى. وبعد ذلك رسى المركب على بر طويل كله حصى أبيض وأصفر وأزرق وأسود وغير ذلك من جميع الألوان، فلما رسى نهض الأعمامي قائماً وقال يا حسن قوم اطلع فإتنا قد وصلنا إلى مطلوبنا ومرادنا فقام حسن وطلع مع الأعمامي وأوصى المجوسى الرئيس على مصالحه ثم مشى حسن مع المجوسى إلى أن بعداً عن المركب وغاباً عن الأعين ثم قعد المجوسى وأخرج من جيبه طبلاً نحاسياً وزخمة من حرير منقوشة بالذهب وعليها طلاسم وضرب الطبل، فلما فرغ ظهرت غبرة من ظهر البرية، فتعجب حسن من فعله وخاف منه وندم على طلوعه معه وتغير لونه فنظر إليه المجوسى وقال له ما لك يا ولدي وحق النار والنور، ما بقي عليك خوف مني ولو لأن حاجتي ما تقضى إلا على اسمك ما كنت أطلعك من المركب فأبشر كل خير، وهذه الغبرة غبرة شيء نركبه فيعيتنا على قطع هذه البرية ويسهل علينا مشقتها فما كان إلا قليل حتى انكشفت الغبرة عن ثلات نجائب، فركب الأعمامي واحدة وركب حسن واحدة وحمل زادهما على الثالثة وسارا سبعة أيام، ثم انتهيا إلى أرض واسعة فلما نزلتا في تلك الأرض نظراً إلى قبة معقودة على أربعة أعمدة من الذهب الأحمر، فنزلتا من فوق النجائب ودخلتا تحت القبة وأكلتا وشربا واستراحتا فلاحت التفاتة من حسن فرأى شيئاً عالياً فقال له حسن ما هذا يا عم فقال له المجوسى هذا قصر، فقال له حسن أما نقوم بدخول لنستريح فيه وتنترج عليه فذهب المجوسى وقال له لا تذكر لي هذا القصر فإن فيه عدو ووقع لي معه حكاية ليس هذا وقت إخبارك بها، ثم دق الطبل فأقبلت النجائب فركبا وسارا سبعة أيام فلما كان اليوم الثامن قال المجوسى يا حسن ما الذي تنظره فقال حسن أنظر سحاباً وغماماً بين المشرق والمغرب. فقال له المجوسى ما هذا سحاب ولا غمام وإنما هو جبل شاهق ينقسم عليه السحاب وليس هناك سحاب يكون فوقه من فرط علوه وعظم ارتفاعه وهذا الجبل هو المقصود لي وفوقه حاجتنا ولأجل هذا جئت بك معى وحاجتي تقضى على يديك،